العدد (1895) السنة الثامنة - الثلاثاء (31) آب 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

رمضان في الجزائر بين الأمن وغلاء الأسعار

يتميز شهر رمضان في الجزائر بأجوائه الروحانية وطقوسه الاجتماعية، ويرجع بعضها إلى العهد العثماني. ويظهر تفاعل الشباب مع الأجواء الرمضانية أن الأجيال الجديدة من الجزائريين ليست أقل تمسكا بطقوس هذا الشهر من الآباء والأجداد.

الجزائر رويترز

يعمل محمد في محل من محال عائلة سرير لصناعة حلوى قلب اللوز منذ خمسة أعوام، و قد تعلم من عائلة سرير طريقة صناعة و بيع هذه الحلوى التي تشبه الهريسة الشامية من حيث الشكل و لكنها تختلف عنها في المكونات، إذ أن قلب اللوز الجزائري يتشكل من خليط من الدقيق و قليل من اللوز و الكثير من ماء الزهر و العسل،ولا يكاد يخلو منها بيت جزائري خلال شهر رمضان على الإطلاق

و يقول محمد:"بدأت عائلة سرير في صناعة قلب اللوز منذ ثلاثينيات القرن الماضي، و هي تملك أربع محال في العاصمة، وإقبال الناس علينا يزداد خلال شهر رمضان، لأن التقاليد الجزائرية تقتضي وجود حلوى قلب اللوز على المائدة الرمضانية، ويتم تناولها بعد الإفطار خلال السهرة".

أما النوع الثاني من الحلوى و الذي يلازم موائد الجزائريين، فهو الزلابية وخصوصا زلابية بوفاريك التي تتخصص في إعدادها عائلة أكسيل في قلب مدينة بوفاريك منذ عام ١٩٠٢، وهذا النوع من الحلوى جزائري خالص، إذ أن بربر منطقة القبائل هم أول من صنعوه ثم قدموه للناس، وعائلة أكسيل من أصل بربري استقرت منذ زمن في مدينة بوفاريك التي تبعد ٥٠ كيلومترا غرب العاصمة.

و يؤكد عبد الكريم، وهو من أبناء الجيل الثالث من عائلة أكسيل، أن زلابية عائلته لها حكاية خاصة، ويضيف:"جاء جدي إلى بوفاريك في نهاية أربعينيات القرن الماضي، وكان يصنع الزلابية في منطقة القبائل، ثم واصل صنعته في بوفاريك و كان أهم زبائنه من الفرنسيين، و خاصة في الحفلات، حيث كانوا يحبون الزلابية لحلاوتها و مذاقها الخاص، ثم انتشر أكلها بين الجزائريين وهاهي الآن إلى جانب قلب اللوز من المكونات الأساسية للمائدة الرمضانية الجزائرية".

واتسمت أجواء رمضان هذا العام بهيمنة الحديث في أوساط الأسر الجزائرية عن الغلاء الفاحش للحوم، بسبب نقص الإنتاج المحلي، و اللجوء الكبير إلى الاستيراد من الهند، ووصل سعر الكيلو الواحد من لحم البقر، ما يعادل ثمانية يورو و نصف، الأمر الذي دفع الأسر الجزائرية إلى اللجوء إلى اللحم المجمد رغم سمعته السيئة لديها.

وعن هذه الحالة، تقول المحامية والخبيرة الاقتصادية فاطمة بن براهم: " إن ما يوصف بشراهة الجزائريين خلال شهر رمضان، مرجعه إلى اقبالهم الكبيرعلى أكل اللحم خلال هذا الشهر الفضيل، وهو ما يمثل فرصة ثمينة للتجار كي يزيدوا من أرباحهم، غير أن الحكومة وضعت قوانين خاصة لمراقبة التجاوزات الفاحشة".

و يبدو أن مراقبة الدولة قد نجحت إلى حد ما في رمضان هذا العام، بسبب الإنتاج الوفير من الخضر والفواكه، و وجود توازن معقول بين العرض و الطلب، إلا أن هذا لم يمنع من فتح أكثر من خمس مائة مطعم للرحمة في كامل البلاد، لإطعام العاطلين عن العمل والمتشردين، كما التزمت الحكومة بتوزيع المواد الغذائية مجانا لمئات الآلاف من العائلات الفقيرة.

و لا يقتصر اهتمام الجزائريين خلال شهر رمضان بالأكل، بل بتمسكهم بالعبادات والواجبات الدينية، حيث يكثر رواد المساجد لتأدية صلاة التراويح، كما تتنوع السهرات الموسيقية وخاصة في النصف الثاني من الشهر، حيث تحيي جمعيات موسيقية كثيرة أنواعا عديدة من الموسيقى الشعبية والأندلسية.

و بالتوازي مع التقاليد الغذائية والفنية، تميز رمضان هذا العام، بقرارات غير مسبوقة اتخذتها وزارة الشؤون الدينية، التي أمرت أئمة المساجد بالتخفيف خلال صلاة التراويح وألزمتهم بثماني ركعات لا غير يقرأ في كل منها ثمن حزب من القرآن الكريم ، و بقراءة ورش عن نافع، المنتشرة في بلاد المغرب العربي، وليس بقراءة حفص عن عاصم المنتشرة في المشرق العربي. وذلك في خطوة تسعى الوزارة من خلالها الى توحيد المنهج الفقهي المتبع في المساجد واستبعاد بعض النزعات المتشددة.

كما طلبت الوزارة من كل المصلين الراغبين في أداء الاعتكاف بالمساجد خلال الأيام العشرة الأخيرة، من تقديم وثائق هوياتهم لمصالح الأمن، كي تتعرف عليهم وتحصيهم بشكل جيد. وقد لاقى القرار استحسانا من قبل المقربين من الحكومة والذين يرون فيه وسيلة مناسبة لتوفير أجواء آمنة في المساجد، خصوصا ان البلد إستعاد الأمن نسبيا بعد سنوات مريرة من العنف.

فيما انتقد معارضون وبعض الإعلاميين هذه الإجراءات لأنها تقيد حرية الناس، حسب رأيهم، لدرجة أن جريدة "الخبر الأسبوعي" المستقلة كتبت في صفحتها الأولى بنبرة انتقادية: "مساجد الله أو مساجد غلام الله" في إشارة إلى وزير الشؤون الدينية الجزائري أبو عبد الله غلام الله.و لم تنته أجواء شهر رمضان عند الجدل بشأن تسيير المساجد، بل تعدته إلى الحديث عن البيئة، إذ لم يكن شهر الصيام هذا العام حارا لكونه حل في شهر أغسطس، بل على العكس انخفضت درجات الحرارة بشكل كبير و وصلت إلى حدود ٢٦ مئوية في عز الصيف وهو ما حير خبراء البيئة. ويعتقد علي طواهرية مدير ادارة الغابات في ولاية المدية(٨٠ كيلومترا غرب العاصمة الجزائر) الذي يقول في تصريح خاص (للدويتشه فيلله): " لا أفهم ما يجري بشكل دقيق، لأن المعطيات البيئية تشير إلى اختلاف حرارة صيف هذا العام، عما هو متعارف عليه في الأوساط العلمية، وأعتقد أن ظاهرة الاحتباس الحراري قد تأتي بمفاجآت بيئية كثيرة للجزائر خاصة و للشمال الإفريقي عامة".لكن درجات الحرارة لم تسجل انخفاضا كبيرا في مناطق جنوب البلاد، بل بلغت في كثير من الحالات ٥٠ درجة، الأمر الذي جعل صيام رمضان مهمة شاقة خصوصا للسكان الذين لا يملكون تجهيزات ملائمة تقيهم من شدة الحرارة، بيد أن تمرس أهل المناطق الصحراوية على مواجهة حر الصيف واعتمادهم على وجبات خاصة تعتمد على التمر والحليب والحساء ، أكسبهم الخبرة الضرورية لتحدي قساوة حر صيف وهم صيام

يجتذب المغرب صيف هذا العام مزيدا من أبناء جاليته المقيمين في أوروبا، لقضاء إجازاتهم الصيفية في أجواء شهر رمضان. يبدو التآلف الأسري والطقوس الاجتماعية والروحية هدفا أساسيا يتوخونه من خلال قضاء رمضان بين أحضان الأسرة.

المغرب يستقبل أبناءه المهاجرين في ليالي رمضان

وكالة الصحافة المغربية

يتزامن شهر رمضان هذه السنة في المغرب مع الإجازات الصيفية لأبناء الجالية المغربية المقيمين في أوروبا، ورغم حرارة الطقس، فقد اختار العديد منهم قضاءه مع عائلاتهم في المغرب للاستمتاع بالأجواء والطقوس الرمضانية لهذا الشهر.

وحول الأجواء المميزة التي تحفزها لقضاء رمضان في المغرب تقول عزيزة(٣٧ سنة) التي تعيش في إسبانيا منذ ١٤ سنة، وانتهزت فرصة تزامن رمضان مع فصل الصيف لقضائه وسط عائلتها بمدينة القنيطرة المغربية لأن رمضان في المغرب حسب عزيزة يختلف كثيرا عن المهجر.ويستقبل المغرب سنويا خلال فصل الصيف زهاء مليون ونصف المليون من أبناء جالياته المقيمين في الخارج، وجلهم يأتون من أوروبا التي تعتبر لاعتبارات تاريخية واقتصادية وللقرب الجغرافي منطقة المهجر الأساسية بالنسبة للمغاربة.

وعن الطقوس التي تقوم بها خلال شهر رمضان، تقول عزيزة "في النهار نقوم باقتناء ما يلزمنا لتحضير أشهى الأطباق، وبعد الإفطار يذهب البعض إلى صلاة التراويح في المسجد والبعض الآخر يفضل زيارة الأقارب فيما يحب آخرون السهر في المقاهي إلى حين وصول موعد السحور".

وتوضح عزيزة أن تربية أبنائها في هذه الأجواء مهم جدا بالنسبة لهم لأنه يساعدهم على معرفة تقاليد بلدهم والمحافظة عليها فيما بعد. وبالرغم من أن زوج عزيزة إسباني فهي تحرص على الاستمتاع بهذا الشهر وسط العائلة، فهذه هي السنة الثالثة التي تقضي فيها شهر رمضان في المغرب.

وتلاحظ عزيزة أن الأجواء اختلفت في السنوات الأخيرة، حيث أن الزيارات العائلية باتت أقل مما كانت عليه في الماضي نتيجة ظروف الحياة التي تغيرت، كما أن العادات الغذائية اختلفت، فقد صارت موائد الإفطار فيها نوع من التكلف وتتوفر على العديد من الأطباق التي كانت تغيب قديما.أما رضوان، وهو مقيم في إيطاليا منذ ٢٠ سنة، فهو يحرص دائما على قضاء جميع المناسبات الدينية في المغرب وخصوصا شهر رمضان، وذلك حسب ظروف عمله والإجازة الدراسية لطفليه.

ويعتقد الباحث الاجتماعي المغربي علي شعباني أن التآلف الأسري يتقوى في هذا الشهر لطابعه الديني، ويسترسل موضحا أن المجتمع المغربي معروف دائما بمحافظته على هذه الطقوس، ولهذا فالمهاجر المقيم في الخارج هو الذي يحن أكثر إلى العادات المغربية، ويضيف شعباني أنه خلال هذا الشهر تكاثر عدد المهاجرين العائدين إلى المغرب لاستعادة وتذكر الأجواء الرمضانية.وبخلاف النظرة السائدة عن افتقاد المهاجرين في أوروبا للأجواء والطقوس الرمضانية خلال هذا الشهر، وبالرغم من انتقال رضوان وعائلته الى المغرب لقضاء الأيام الأولى من شهر رمضان وسط العائلة فهو يقول إنه لا يفتقد كثيرا الأجواء الرمضانية في مدينة تورينو الإيطالية التي يعيش بها، لاسيما وأن المدينة تتوفر على العديد من المحال المغربية التي تقدم جميع المأكولات التي يستهلكها المغاربة خلال شهر رمضان.

ويوضح رضوان " قبل ٨ سنوات كان من الصعب إحياء الطقوس المغربية في المدينة التي أعيش بها، أما اليوم ومع تواجد الكثير من المغاربة لا أشعر كثيرا بالفرق"، وتقاطعه زوجته ليلى موضحة أن ما يساعدهم على تقبل شهر رمضان بالمهجر تبادلهم الزيارات مع العديد من الأسر المغربية، كما أن توقيت عملهم لا يمنعهم من الإفطار في البيت.وفي نفس السياق توضح رشا، وهي طالبة مغربية بألمانيا، أنه سبق لها أن قضت شهر رمضان في ألمانيا ولم تفتقد شيئا لأنها ترى في الصيام مسألة روحية وشخصية، سواء أكان الأمر في المغرب أو في ألمانيا، أما العادات التي تصاحب هذا الشهر فهي متاحة في ألمانيا على حد تعبير رشا وتضيف " هناك أسواق مغربية مائة في المائة في مدينتي كولونيا ودوسلدورف حيث يمكنني أن أقتني مثلا " الشباكية"(حلويات مغربية خاصة بشهر رمضان) أو "الحريرة"(الحساء المغربي المعروف في شهر رمضان).

وحول الأجواء الروحية خلال هذا الشهر في المهجر الألماني، تقول رشا"صلاة التراويح مثلا تقام في المساجد، لكن يبقى طبعا غياب الأهل والأسرة من الأمور التي يمكن أن يفتقدها المرء لكن في المقابل هناك أصدقاء يعوضون هذا النقص".

إلا أن قضاء رشا لشهر رمضان هذه السنة في المغرب يجعلها تعتب على المغاربة عاداتهم الغذائية السيئة نظرا للإسراف الذي تعرفه المائدة المغربية الرمضانية إضافة إلى زيادة عنصر الخلط بين بعض العناصر الغذائية التي تتوفر على الكثير من الدهنيات والسكريات، وفي زمن متقارب وفي وقت تقل فيه حركة الجسم، وتنبه الطالبة الجامعية الى أن هذه العادات الغذائية ليس لها أي صلة بالدين بقدر ما لها صلة بالعادات والتقاليد الاجتماعية.

تُزين الموائد خلال شهر رمضان بالعديد من الأطباق، من بينها الحساء والفطائر والحلويات وغيرها من الأطعمة التي يكون من الصعب على المغربي تذوقها في بلد المهجر. كما ينظم بعض المحسنين موائد للإفطار الجماعي لبعض الفئات الفقيرة والمهمشة، لاسيما وأن الأسعار ارتفعت نتيجة ارتفاع الطلب وهذا ما تؤكده عزيزة التي تشتكي من ارتفاع أسعار المواد الأساسية كالحليب والزيت، وكذلك بعض المأكولات التي يفطر بها الصائم.

وهو ما تؤكده زوجة رضوان التي تستغرب من هذا الغلاء قائلة "من الصعب على ذوي الدخل المحدود تغطية جميع متطلبات هذا الشهر ما يدفع الكثير من الأسر إلى الاقتراض من البنوك حتى تتمكن من تلبية جميع النفقات، وحتى بالنسبة للجالية المغربية فنحن نجد الأسعار مرتفعة جدا".

وفي معرض حديثه عن رمضان بالمغرب أعرب الباحث الاجتماعي علي شعباني أن لكل سنة طابعها الخاص لكن الأجواء لا تختلف كثيرا لدى الفئات التي تقدس رمضان وتصومه، لكنه أوضح أنه في السنوات الأخيرة ظهرت بعض التحولات التي دخلت على استقبال شهر رمضان كبعض الأنشطة الخاصة به على المستوى الإعلامي أي في البرامج التلفزيونية والأنشطة الثقافية التي تنظم بمناسبة هذا الشهر.

ويوضح الباحث الاجتماعي كذلك أن التطورات التي تعرفها الدراما العربية بشكل عام تشكل توجها خطيرا قد يقضي على الأجواء التي كانت تعرف في شهر رمضان، وذلك بإبعاد الجانب الديني والروحي لهذا الشهر و يقول شعباني "كثرة المسلسلات والبرامج البعيدة عن الأجواء الروحية والتي تركز على الفكاهة والضحك أو الدراما تبعد الأسر المغربية عن الطابع الحميمي وتشغلهم عن وصل أرحامهم".

لكن رشا ، لا توافق على هذا الطرح فهي لا ترى مانعا من ارتفاع الإنتاج الدرامي، فشهر رمضان يشكل فرصة للفنانين المغاربة للرفع من الإنتاج الوطني، وتضيف رشا "هذا الشهر هو الفرصة الوحيدة للفنان المغربي للعمل، حيث يقل العمل الدرامي طوال السنة، اما بالنسبة للمسلسلات الرمضانية العربية فأحرص على متابعة واحد او اثنين لأن بقيتها يتم إعادة عرضها على مدار السنة.

في مدن فلسطين .. رمضان دعوة للتكاتف

ا.ف.ب

حبال التزيين تحمل مئات المصابيح الكهربائية المتعددة الألوان، تربط بين أعمدة الكهرباء وشبابيك البيوت لتضيء شارع الناطور في مدينة البيرة المجاورة لرام الله. إعلان بالضوء عن حلول شهر رمضان في الأراضي الفلسطينية، فالأهالي تنادوا واشتركوا في دفع تكاليف تزيين حيهم، كما يحصل في العديد من الأحياء التي ارتفعت أيضاً على شرفاتهم، أسلاك الزينة المصنوعة على شكل رموز إسلامية كمسجد أو مئذنة تارة أو قبة تارة أخرى. هذا في الليل، أما في النهار فالحرارة اللاهبة تلقي بثقلها على الصائمين، وتتراجع الحركة بصورة لافتة خاصة في ساعات الظهر، ويتجمع أصحاب المتاجر لتبادل الحديث، فيما يغيب الزبائن في مثل هذا الوقت.

افتراضاً، يتمثل الهدف من الصيام هو حرمان النفس من المتع الجسدية طوال ساعات النهار، تقرباً إلى الله، ومشاركة للفقراء في مشاعر الحرمان. لكن المتصفح للسلع المعروضة في المتاجر والاهم الإقبال عليها في الصباح وقبل الإفطار بساعتين يقف على حقيقة أن العديد من الصائمين، يتهافتون على شراء كل ما يثير شهيتهم من أصناف الطعام.

عن هذا يقول احمد سالم، في الخامسة والعشرين من العمر، وهو يتسوق من متجر للأغذية في رام الله: "من حق الصائم أن يتمتع عند الإفطار بكل ما يشتهيه، فأنا أصوم خمس عشرة ساعة وأريد أن أرى المائدة عامرة بكل أصناف الطعام".

أم سمير، كما عرفت نفسها، تنتظر دورها عند بائع الدجاج، تؤكد أن شهر رمضان يستنزف كل ما لديها: "زوجي موظف ودخله محدود، لكننا لا نستطيع حرمان أبنائنا الأربعة مما يشتهون فنشتري اللحوم والدجاج والخضار والحلويات، والمشكلة أن الأسعار ارتفعت مع بداية الشهر، وخاصة اللحوم والدواجن ولكن ما باليد حيلة".

أما التاجر قاسم السعيد فيقول عن مشكلة ارتفاع الأسعار: "طلبت منا الحكومة إشهار الأسعار، وعدم رفعها، القضية ليست بأيدينا، فكل شيء مستورد من إسرائيل أو الخارج، ويبقى لدينا هامش قليل للربح. ولا شك أن الاستهلاك يرتفع في هذا الشهر، وهو ما يحرك السوق بصورة جيدة، ويدفع البعض إلى رفع الأسعار فالطلب عال".

وما يزيد من استنزاف الميزانية الدعوات المتبادلة بين الأقارب والأصدقاء، فإن كانت في مطعم فهي للأغنياء فقط، وإن كانت في البيوت فهناك تسابق على الأصناف التي تقدم على الموائد.

وفي ظل مشكلة الأسعار أخذت جمعيات صغيرة تشكلت حديثاً تنشط في رصد ارتفاع الأسعار ورفع تقارير إلى الجهات الحكومية المختصة، ومن هذه الجمعيات جمعية حماية المستهلك في الضفة الغربية. لكنها لم تتمكن حتى الآن، كما يقول الناشط حسن إبراهيم في حوار مع (دويتشه فيله)، من كسب قضية واحدة.

ويضيف إبراهيم قائلاً: "في بعض المتاجر وجدنا سلعاً منتهية الصلاحية، وتبين لنا أن فارق الأسعار كبير جداً بين متجر وآخر. والأخطر من ذلك ربما هو أن موزعي المواد الغذائية سريعة التلف كمنتجات الألبان يضعونها في الصباح الباكر أمام المتاجر، وقد تمر ساعة أو أكثر قبل أن يفتح المتجر أبوابه. لذلك تتعرض هذه المواد للتلف نتيجة تعرضها لأشعة الشمس، لكن التاجر يضعها في الثلاجة ويعرضها للبيع".

تنشط الحركة في ساعات ما بعد الظهر، موظفون عائدون من عملهم، ومواطنون يتدفقون إلى الأسواق لشراء ما تشتهيه الأنفس على مائدة الإفطار، ومتسكعون وأطفال. تتزايد الحركة بصورة مضاعفة، وتغص مراكز المدن بالسيارات وسط تذمر من الازدحام، يصل حد الشتم والسباب. فالكل يريد أن يمر قبل غيره ما يزيد من الأزمة، ورغم محاولات رجال الشرطة تنظيم المرور إلا أن كل متسوق يسعى إلى إيقاف سيارته أمام المحل المقصود، سواء كان ذلك قانونياً أم لا.

وفي الشوارع الأخرى، خارج المركز، تبدو السيارات وكأنها في رالي سباق، سرعة فوق العادة، وتجاوز وخرق لإشارات المرور، وبالطبع حوادث، وحسب بيانات الشرطة فقد تضاعف عدد الحوادث أربع مرات خلال اليومين الأولين من شهر رمضان.

لكن بعد الإفطار بدقائق ينتشر الأطفال في الشوارع، ويبدؤون باللعب وإطلاق الألعاب النارية لتلون الفضاء، فيما تغص المقاهي بالساهرين في أجواء احتفالية، يغمرها دخان النراجيل. وفي الأحياء الميسورة، يتدفق الشباب والشابات إلى "الكافيه" ونادراً ما تجد كرسياً فارغاً عند مائدة. وتمتد السهرات إلى ما بعد منتصف الليل وأحياناً حتى السحور، مشروبات وشطائر وبالطبع نراجيل تختلط قرقراتها بأصوات السامرين